



رسائل جغرافية

الجغرافيا والدين

ا. د. عبدالعزيز كامل

١٤٠

رجب ١٤١١هـ
يناير ١٩٩٢م

دورية علمية محكمة تعنى بالبحوث الجغرافية
يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية

الاشتراكات

في الكويت

للمؤسسات ١٢ دينارا كويتيا (سنويا)

للأفراد ٦ دينارا كويتيا (سنويا)

خارج الكويت

للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا (سنويا)

للأفراد ٧.٥ دينارا كويتيا (سنويا)

الجمعية الجغرافية الكويتية

ص.ب: ١٧٠٥١ الكويت الخالدية الرمز البريدي 72451

رسائل جغرافية

[١٤٠]

الجغرافيا والدين

ا. د. عبد العزيز كامل

رجب ١٤١١هـ
يناير ١٩٩٢م

الأستاذ الدكتور عبدالعزيز كامل: كان واحدًا من أبناء الرعيل الأول في الجغرافيا، وامتاز منذ يومه الأول ـ حتى وهو طالب ـ بأن له نهجًا خاصًا في دراسة الجغرافيا وعناية خاصة موجهة إلى التراب العربي والإسلامي «قل سيروا في الأرض فانظروا. . .» فكان ينظر إلى الأرض، وكان يحاول أن يربط التاريخ دائمًا بالجغرافيا وبالبيئة الطبيعية وعني على الخصوص بالمرحلة الأولى لظهور الإسلام وكان له دور بارع فيها. واستمر في هذه الدراسة حتى بلغ قمة حياته العاملة، حيث ربط بين الجغرافيا والسياسة. وهذا أمر كان طبيعيًا، ليس بالنسبة لعبدالعزيز رحمه الله فقط، وإنما بالنسبة لنا جميعًا، وبالنسبة للعصر الذي نعيش فيه، فهو قد عاش عصره حقيقة، ووضع علمه في خدمة السياسة في هذا البلد، رحمه الله رحمة واسعة.

سليمان حزيِّن

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾

الحمد لله، وما النصر إلا من عند الله، إنه هو العزيز الحكيم. لقد تعرض بلدنا الحبيب لعدوان غادر من طغمة باغية ظالمة لا تعرف للإسلام حرمة، ولا للعروبة أخوة، ولا للجوار حقا، طغمة فاسدة لا تعرف من قاموس الحياة سوى الغدر والسلب والنهب والحقد على الآخرين.

لقد حاول العدو الغادر ـ خاب سعيه ـ أن يطمس الهوية الكويتية الراسخة، مستبيحا حرماتها ومواردها، ولكن الكويت الصغيرة في رقعتها الجغرافية، الكبيرة بصمودها وشموخها ووحدة أبنائها خلف قيادتها الشرعية، ودعم حلفائها المخلصين. استطاعت أن تزلزل الأرض من تحت أقدام عدوها الغادر وتنزل به هزيمة نكراء، ولقنته درسا قاسيا لن ينساه هو وأمثاله من الطغاة.. درساً في قيمة وأهمية احترام الشرعية الدولية والالتزام بالعهود والمواثيق الدولية. لقد أعادت الكويت إلى ذاكرة العدو الحاقد أن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة. وأثبتت المحنة أن قوة الدول لا تقاس بمقدار ما تملك من أسلحة دمار، وإنما بمبادئها ومواقفها الخيرة واحترامها للقوانين والشرعية الدولية.

لقد عاث العدو في الأرض فساداً وإفساداً رغم الفترة القصيرة التي دنس فيها ترابنا الوطني الطاهر، فاستباح دماء وأعراض المسلمين، وأهلك الحرث والنسل بإشعاله المتعمد الغادر لآبار النفط وتلويث الهواء وإفساد البيئة البرية، وضخ النفط

في الخليج عامداً متعمداً ليضر بأحيائه ويفسد ماءه، وهي نعم يدعونا الله إلى حمايتها وصيانتها وينهى عن إهدارها وإفسادها. إن ما فعله طاغية العراق وزبانيته كُفْر بأنعم الله، واستحقوا غضب الله وعذابه، وصدق فيهم قول الحق تبارك وتعالى ﴿**فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾ (النحل: ١١٢). لقد ارتدت طعنة الغدر إلى نحورهم، وتهاوت أسلحة دمارهم عقابا لغدرهم وفسادهم، يقول عز من قائل ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**﴾ (الأعراف: ١٠٣). حقا بئس العاقبة.

وبانبعاث من حقد أسود غائر، حاول العدو الغادر أن يقضي على منارات العلم والمعرفة في الكويت، فوجه زبانيته من أنصاف المتعلمين والجهلة يعملون سلبا ونهبا لكل كنوز مراكز العلم والثقافة والبحث العلمي، لوقف مسيرة الكويت العلمية المتطورة، التي انطلقت بفضل جهود أبنائها المخلصين وصفوة العلماء والمثقفين من عالمنا العربي محققة السمعة العلمية والثقافية الطيبة التي تتمتع بها الكويت على مستوى وطننا العربي وعالمنا الإسلامي، وهي السمعة التي أشعلت فيهم نار الحقد والحسد.

وليس ثمة شك أن إرادة الصمود والتحدي التي تبلورت وتجسدت إبان فترة الغزو العراقي الغاشم، تقف اليوم شامخة معلنة بكل إصرار وعناد مواصلة المسيرة العلمية والثقافية ودعمها بكل قوة لتظل راية الكويت العلمية خفاقة رغم كيد الحاقدين

ووحدة البحث والترجمة، وهي إحدى منارات العلم والثقافة في كويتنا الحبيب، قد عانت كغيرها من المؤسسات العلمية من سلب ونهب وتخريب لمنشآتها وأجهزتها العلمية، تعود اليوم والحمد لله لتواصل مسيرتها العلمية في نشر البحوث والدراسات الجغرافية التي تعالج شتى القضايا البيئية والسكانية والاقتصادية

والسياسية وغيرها، لقد استمرت الوحدة في أداء رسالتها العلمية والحمدلله بصورة متواصلة دون انقطاع لمدة أحد عشر عاما من يناير ١٩٧٩ حتى ٢ أغسطس ١٩٩٠، وهو يوم العدوان الأسود حيث اضطرت الوحدة للتوقف الإجباري نتيجة لهذا العدوان. وقد صدر عن الوحدة خلال هذه الفترة ١٣٩ رسالة و٣٩ كتابًا علميًا.

* * *

ويسعد وحدة البحث والترجمة، وقد اندحر الغزاة وانكشفت الغمة، أن تعاود مسيرتها العلمية بهذه الدراسة القيمة التي تعالج موضوعا حيويا بعنوان «الجغرافية والدين» وهي الدراسة التي قام بإعدادها علم مرموق من أعلام وطننا العربي وعالمنا الإسلامي الذي كرس حياته وأفنى عمره في محراب العلم باحثا ومحققا ومدققا، هو المرحوم الأستاذ الدكتور عبدالعزيز كامل. وقد كانت هذه الدراسة موضوع المحاضرة التي ألقاها في ختام الموسم الثقافي لكلية الآداب للعام الجامعي ١٩٩٠/٨٩ في مساء الثلاثاء الموافق ١٩٩٠/٥/٢٢، وكانت حقا مسك الختام. وقد قمنا بطباعتها كما ألقيت، ومن ثم فسوف يلاحظ القارىء أن أسلوبها هو أسلوب الإلقاء والخطاب الجماهيري، الذي تقوم فيه المواجهة بدور كثير من الروابط التي تعتمدها الكتابة. ولكن القارىء لن يعدم هنا الجِدّة والأصالة، شأن الدكتور عبدالعزيز في كل ما كتب أو حاضر، رحمه الله.

والأستاذ الدكتور عبدالعزيز كامل غني عن التعريف، فهو أستاذ جامعي تدرج في السلم الأكاديمي بالجامعة حتى درجة الأستاذية في كرسي الجغرافية البشرية. وتتلمذ على يديه الكثير من أبناء العروبة فكرا وعلما، كما شغل منصب مدير جامعة

الكويت، وكان عضوا في اللجنة العالمية لتاريخ الإنسانية العلمي والثقافي باليونسكو بباريس. وعرفته الحياة السياسية وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر ونائبا لرئيس الوزراء للشئون الدينية بجمهورية مصر العربية. كما شغل منصب مستشار بديوان صاحب السمو أمير البلاد. وقد داهمه الغزو وهو يؤدي رسالته العلمية في الكويت فلم يتحمل الصدمة التي نزلت عليه كالصاعقة حزنا وكمدا حتى ألم به المرض الذي لم يمهله طويلا حتى لقي ربه في يوم الثلاثاء السابع عشر من رمضان ١٤١١هـ (٢/٤/١٩٩١م).

وقد كنت ممن تلقى العلم على يديه بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة القاهرة حتى نلت درجة الماجستير بإشرافه، وقد كان اهتمامه بالجانب الإسلامي لحضارتنا العظيمة واضحا ملموساً في كل محاضرة له وكل توجيه أو تعليق. وإنتاجه العلمي يدل على ذلك أوضح الدلالة.. فقد تميّز بالغزارة والتنوع، وجمعه بين الدراسات والبحوث الجغرافية، وبين الدراسات والبحوث الدينية. ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر في المجال الجغرافي:

جغرافية الإسلام في أفريقيا، دراسات في أفريقيا المعاصرة، في أرض النيل، جغرافية التحرير في أفريقيا، دراسات في الجغرافية البشرية للسودان.

كما صدرت له بحوث باللغة الإنجليزية منها: التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا، وجه العالم الإسلامي، المقريزي وتفسير فيضان النيل.

وفي المجال الديني نذكر:

الإسلام والتفرقة العنصرية التي نشرته منظمة اليونسكو، الإسلام والعصر، الإسلام والمستقبل، أيها الأبناء هذا دينكم، مع الرسول والمجتمع، حوار إسلامي، حقوق الإنسان في الإسلام، الإسلام من مصادره.

رحم الله أستاذنا الجليل الذي سوف يظل فكره وعلمه معينا لا ينضب تنهل منه الأجيال القادمة بما يصقل قدراتها العلمية والفكرية بما يخدم المسيرة العلمية والثقافة لوطننا العربي وعالمنا الإسلامي.

نسأل الله أن نكون رسل علم وثقافة وبناء وتعمير لا شياطين جهل وتخريب وتدمير وغدر، ورحم الله شهداءنا الأطهار.

أ.د. عبدالله يوسف الغنيم

الجغرافيا والدين

ا. د. عبد العزيز كامل

(١) ماذا نقصد بالجغرافيا؟

التعاريف متعددة ومتطورة، شأنها في هذا شأن أي علم حي، وبخاصة العلوم المركبة التي تعتمد على بحوث غيرها من العلوم، علوم القمة إذا شئنا اصطلاحا آخر: كالفلسفة، أو التي تجمع عددا من الفروع كالأدب والفن. ونستطيع أن نتقصّ حوارا طويلا عن التعريف، وما إلى هذا تقصد هذه الدراسة، فلنأخذ من تعريف الجغرافيا:

التباين المكاني: وصفا وتفسيرا وتحليلا وترابطا وحركة في الزمان، تعود إلى الماضي دراسة التطور وتقف عند الحاضر لترسم صورة الوضع الحالي، وتمتد إلى المستقبل آخذة إعادة تشكيل الحاضر أو التخطيط أو الجغرافيا الحركية لا السكونية، أي الجغرافيا المساهمة إيجابيا في صياغة الحياة.. وبهذه الإيجابية نستطيع أن نتخذ موقعا في الركب الحضاري المتحرك إلى الغد دائما، والغد في ذاته متحرك، لأن ما هو غد اليوم يصبح حاضرا ثم أمسا، والعين تنظر إلى الغد الجديد.

قد تكون الظاهرة الجغرافية طبيعية بحتة، أو بشرية، أو ثمرة تفاعل بين الأمرين.. ولكن الذي يعنينا هو القابلية للتوزيع والتوقيع على خريطة، ومن ثم قدرتنا على دراستها دراسة تحليلية تقييمية تنبؤية.

(٢) وما المقصود بالدين؟

فيه أيضا تتعدد التعاريف. وسأقف عند عنصر أساسي تلتقي عنه الأديان وهو «القداسة»، وفي هذا أعتمد على بحوث الأستاذ مرشيا إلياد MERCEA ELIADE.

وقد أمضىٰ في مجال الدراسات الدينية المقارنة أكثر من نصف قرن. وكـانت وفاتـه عام ١٩٨٧. وآخر ما أشرف عليه من عمل علمي «مـوسوعـة الدين» "Encyclopedia of Religion" من خمسة عشر مجلدا ضخما، يضاف إليها مجلد عن المؤلفين. وقد سـاهم فيهماعدد كبير من الأساتذة والباحثـين، كل منهم متخصص في فـرعه، وقـد صدرت عام ١٩٨٦، نشرتها دار ماكميلان وفرى. وسبق هذه الموسوعة إنتاج غـزير لـلأستاذ إلياد، لعل من أفضله كتابا من ثلاث مجلدات عنوانه تاريخ الأفكار الـدينية: ١٩٨٧ A History of Religious Ideas.

وقد صدرت (هذه الترجمـات الإنجليزيـة) مع كتب أخـرى عن مكتبة جـامعة شيكاغو عن الأصل الفرنسي.

لقد ركز «إلياد» على عنصر القداسة. ويطرأ هنا سؤال: في أي المجالات تكون هذه القداسة؟

وهو يذكر في هذا أربعة مجالات: الزمان، المكان، الإنسان، الكون. (ويشمل عنده ما اصطلحنا على تسميته بالغيب، أو ما وراء الإدراك المحسوس للإنسان).

ولنذكر أن العلماء الذين عرضوا لتعريف الدين، لم يقصروا دراساتهم على الديانات السماوية، وإنما شملت جميع الأديان: ما كان منه سماوي المصدر، وما كان نابعا من الاستنارة كالبوذية بمدارسها المتعددة، أو ما كان نابعا من الأساس الأخلاقي كالكونفوشيه والتـاوية، في الصين، بحيث تنظم أمر الحياة أو جانبا منها، وتحدد للإنسان موقفا منها ومن الموت وما بعد الموت، ولها في هذا شعائرها التي يتبعها أصحابها، ويربطون بها الطاعة والمعصية، والثواب والعقاب.

(٣) بين الدين والثقافة:

وقبل أن يتسع بنا القول أود أن أقف قليلا عند العلاقة بين الدين والثقافة، فهي وثيقة الصلة بما نحن بسببه من الدراسة. إن المؤمن بدين، له التزام بأحكامه

وشعائره ومناسكه وأخلاقياته، أي بالعقيدة والشريعة معا. وأديان الآخرين عنده ثقافة، تتسع بها دائرة معرفته، وقدراته على التعامل مع الحياة والأحياء.. بعبارة أخرى: مع البيئة في آفاقها الطبيعية والبشرية معا. وفي تناولنا هنا لأي دين، إنما نتناوله كما يؤمن به أهله. ونحن المسلمين، أحوج ما نكون إلى هذه النظرة الموضوعية في عالمنا المعاصر: أن يعرض الإسلام عرضا معتمدا على مصادره، مع التمييز بينها وبين التطبيقات، وهي من جهود الأجيال اللاحقة، فيها المقبول، وفيها ما يحتاج إلى تغيير مع تطور الحياة.

ففي هذه الدراسة سنتجه إلى بيان العلاقة بين الجغرافيا والدين، من حيث هي واقع يعيشه الناس، ومن المنتظر أن تكون أكثر التطبيقات مما يوضح هذه العلاقة على الصعيد العالمي، دون حصر أنفسنا في بيئة أو إقليم معين.

كذلك علينا هنا أن نستبعد ابتداء، أمر المقارنة بين دين ودين، من حيث المصدر الإلهي أو الأرض أو التتابع الزمني. وإنما ستأتي المقارنة في أمر واحد هو التفاعل مع عناصر البيئة ويقودنا هذا إلى الحديث عن:

(٤) مناهج الدراسات الدينيه المقارنة:

هناك منهجان أساسيان:

الأول: المنهج التاريخي، ويتناول الأديان حسب ظهورها ومناطقها الكبرى: الديانات البدائية والبائدة(وإن تسربت بعض شعائرها بحكم الأوضاع الجغرافية إلى أديان لاحقة)، مجموعة ديانات الهند أو جنوب آسيا (الهندوكية. الجيانية. البوذية في تطورها، السيخ)، مجموعة ديانات شرق آسيا(التاوية والكونفوشية في الصين. الشنتوية في اليابان)، مجموعة ديانات غرب وجنوب آسيا (الزرادشتيه. اليهودية. المسيحية. الإسلام) مع دراسة تطور كل منها:

الثاني: المنهج البنائي، وأساسه الظاهرة، ويدرس في الأديان جميعا. وقد

سبقت الإشارة إلى التقسيم الرباعي لمرشيا إلياد: المكان. الزمان. الإنسان. الكون. ولكل منها تفصيل. ولعل هذا المنهج هو الأقرب إلى بيان آفاق التفاعل بين الجغرافيا والدين.

(٥) بين الإقليمية والعالمية:

ونستطيع في دراسة التفاعل أن ننظر إلى العالم في شموله، كما نستطيع أن نتناول إقليما أو دينا، ونتتبع قيامه وانتشاره وتفاعله مع الظاهرات الطبيعية والبشرية ومدى تأثره وتأثيره فيها. . ذلك لأن لكل دين نظرته إلى هذه المكونات، وإلى طريقة التعامل معها تحركا فيها: صيانة وتنمية أو إهداراً. . وله نظرته إلى الكون: إقامة وعمرانا، أم تحديا وعقبات عليه أن يجابهها وينتصر عليها. . ويكفي مجرد الإشارة الآن إلى التلوث الذي أحدثه الإنسان، ويكاد يعصف بالوجود الإنساني كله. . وكيف تراجعت مصالح الإنسان على المدى البعيد، أمام الرغبة العارمة في استنزاف موارد الأرض، ومعاملة الجنوب كأنه مجرد أداة إنتاج وحقل للمواد الأولية، ومقبرة للنفايات الذرية والكيماوية إن استطاعوا. وهي سلوكيات غير بيئية لا تستقيم مع السلوكيات التي تسعى لترسيخها الأديان وبخاصة السماوية.

هذا جانب من أمر الأقليمية والعالمية. وثمة جانب آخر هو:

(٦) توزيع الأديان الكبرى وعلاقته بنشأتها وتطورها: (القطاع الشرقي)

والملاحظة الأولى التي تبدو للباحث أن أديان جنوب وشرق آسيا ـ رغم كثرة عدد معتنقيها، لم تتحول إلى أديان عالمية الانتشار. وإنما ظلت مركزة إلى حد بعيد في مناطق نشأتها، وأن بعضها أخذ ينتشر فى القرن العشرين، وبخاصة نصفه الثاني، مع اشتداد حركة الهجرة إلى مناطق الجذب الجديدة في أوربا والعالم الجديد واستراليا

ونيوزيلنده. واستطاعت البوذية ـ كمثال واضح ـ أن تجد لها مواطىء أقدام في العالم الجديد.

بينما استطاعت أديان غرب وجنوب آسيا الانتشار منذ قيامها متخذة من طرق التجارة القديمة ـ البرية والبحرية ـ مسارات في القارات الثلاث، في العالم القديم.

ولو نظرنا إلى شبه القارة الهندية، وقد أحاطت بها المحيطات من جهات ثلاث وطوقتها الجبال الشمالية بثلوجها كأنها بحر متجمد. . ولم يتبق إلا طرق اتصال محدودة أو محددة بالممرات الجبلية. . أو الانتقال عبر الجزائر الجنوبية الشرقية ـ لاستطعنا أن ندرك كثافة الانتشار الداخلي وقلة الامتداد الخارجي، بل إن جانبا من التركيب الاجتماعي في الهند بنظامه الطبيعي الصارم: ما بين البراهما في أعلى التكوين، إلى المنبوذين في أدناه، إنما يعكس التكوين التراكمي الذي تأتي منه الغزوات الجديدة من الشمال، وتضطر الجماعات المستضعفة إلى الانزواء جنوبا، أو في مناطق العزلة.

ولقد قامت البوذية في نفس البيئة، ولكنها تحمل فكرا أكثر انطلاقا وتعتمد ـ أكثر ما تعتمد ـ على الاستنارة (SATURI) وعلى التجربة الذاتية، وظهرت فيها مدارس استطاعت أن تستجيب لظروف التقدم في بيئاتها حتى وصلت إلى اليابان شمالا، وتخطت منطقة التاميل في شمال سيرلانكا واتخذت لها قاعدة قوية في قلب الجزيرة.

والصلة قوية بين الاستنارة التي تنادي بها البوذية، وبين القدرة على اختراق العقبات: عقبات الحياة والتقدم والتقنية. ومن هنا نرى الترابط الوثيق في اليابان بينها وبين التقدم التقني، فهو في ذاته نوع من الاستنارة. وللكاتب الياباني سوزوكي D.T.Suzuki نحو ثلاثين كتابا في البوذية. ولعله أشهر من كتب عنها، وقدمها إلى العالم خارج اليابان. وكتبه متدرجة من البساطة إلى البحوث العميقة، وبعضها ثمار لمحاضراته في عواصم الغرب.

وقبل أن نعود إلى غرب آسيا وجنوب غربها حيث الأديان السماوية الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام، أود أن أشير إلى أمرين:

الأول: أن القوم في بعض أجزاء شرق آسيا بالذات يمارسون في الأغلب نوعا من السماحة، أو إن شئت التعددية الدينية، وهذا غير معروف في ديارنا. فمن الممكن أن نرى الرجل يذهب إلى المعبد البوذي، وفي داره أيقونة شنتويّة لها عنده قداسة ويتوجه نحوها للتأمل والدعاء، ولا مانع عنده أن يخرج من معبد ليدخل في آخر. وعندما اتصلوا بتاريخنا وحروبنا كان من العجيب عندهم أن يتصارع الناس ويتقاتلوا من أجل الدين.. لا نقول إن هذه السماحة كانت تحكم الجميع، ولكن التعددية فيما بينهم كان لها مجال رحب في الممارسة، وخصوصا الرجل العادي غير المتخصص.

الثاني: أن الزرادشتية في فارس حصرت بين ديانات جنوب شرق آسيا من ناحية الشرق، وبين انتشار الإسلام والمسيحية من الغرب، وضاقت أمامها السبل، ولم تجد إلا أن تنزوي وتنعزل، ولم يبق منها إلا البارسيون وهم قلة محدودة العدد في مراكز متفرقة في إيران الحالية وجنوب آسيا (الهند وباكستان).

(٧) القطاع الغربي من آسيا:

ونقصد به أرض الهلال الخصيب (العراق والشام) والجزيرة العربية مع إضافة مصر. وفي هذا المجال قامت وتحركت وتفاعلت الديانات الثلاثة السماوية: اليهودية والنصرانية والإسلام.. ومنه انتشرت فيما حولها ثم في العالم الجديد.

وتمثل قصة أبي الأنبياء: إبراهيم عليه السلام، تحركا واسعا واتصالا بأقطار هذه الأرض: نشأه في العراق، هجرة إلى الشام، تحرك إلى مصر، عودة إلى الشام، هجرة إلى الحجاز، عودة إلى الشام. وإذا كانت حياة إسحق ويعقوب ويوسف ثم موسى تمثل تركيزا في الاتصال بين الشام وشمال الجزيرة العربية وسيناء ومصر، فإن

حياة إسماعيل تمثل اتصالا وثيقا بين الشام ومصر (ومنها كانت أمه هاجر) واليمن ومنها كانت زوجته. وكان بيت إبراهيم يضم الجناح الشرقي للعروبة كما نعرفها الآن.

في كتب تاريخ الأديان والديانات المقارنة توضع اليهودية والنصرانية في نسق واحد متتابع. وكثير ورود التوراة والإنجيل في القرآن، كما تجد فيه إشارات إلى صحف إبراهيم وموسى وداود.

من ذلك قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيَقْتُلون ويُقْتلون، وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم﴾ (التوبة: ١١١).

وبعد أن جاء ذكر صفات المؤمنين والدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح في سورة «الأعلى» قال تعالى في ختام السورة ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى﴾.

وترتبط الأديان الثلاثة بالأرض التي تعيش فيها: (الشام والعراق والجزيرة العربية ومصر).

وهي جغرافيًا منطقة متوسطة، لها اتصالاتها البرية والبحرية بكل من القارات الثلاث: آسيا وأفريقيا وأوربا.

موسى عليه السلام كانت له حركته بين مصر وسيناء وشمال الجزيرة العربية في مدين، ثم عودة إلى سيناء، ثم مصر، وخروج منها إلى سيناء حيث لقي ربه.

عيسى عليه السلام كانت له هجرته مع أمه من فلسطين إلى مصر. ومعالم

هجرة الأسرة المقدسة محفوظة في التاريخ الكنسي مكانا مكانا. . ثم عاد إلى فلسطين يبشر بما دعاه الله إليه.

محمد عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام، تلقى الوحي في مكة، ولما ضاقت به هاجر إلى المدينة واتخذها قاعدة للدعوة، تنطلق منها أولا إلى الجزيرة العربية، ثم إلى ما حولها، وبخاصة على امتداد محور الواحات بين اليمن والشام (رحلة الشتاء والصيف) وتفرعاته فيما وراء الجزيرة.

يستوقف النظر أن مقدسات الأديان الثلاثة ترتبط بهذا المحور الممتد بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وتتكاثف عند أطرافه الشمالية والجنوبية. وإذا كانت أكثر مواطن الشعائر الإسلامية في الجنوب وبخاصة في المسجد الحرام وحوله، فإن الأديان الثلاثة تشترك في الطريق الشمالي من المحور وحوله، وفيها ما يقدسه أهلها.

(٨) عالمية توزيع الأديان الثلاثة:

اليهودية:

ولنبدأ باليهودية في توزيعها الحالي، عائدين إلى الماضي بقدر ما يفسر الحاضر: أقل قليلا من نصف اليهودية أمريكية، أكبر التركيز في الولايات المتحدة، وفيها وحدها أكثر من الثلث. وأهم التوزيعات الأخرى في كندا والأرجنتين والبرازيل. وأكثر من الربع قليلا في أوربا بما فيه الاتحاد السوفيتي. وهو المستودع البشري الخطر الذي يهدد أهل فلسطين (نحو ٢٫٦ مليون هناك) وفي إسرائيل نحو ٣٫٥ مليون. ثم جالية محدودة العدد في جنوب أفريقية، وأخرى تنمو في استراليا.

بين المسيحية والإسلام:

سنعود إلى الماضي نحو خمسة قرون إلى أواخر القرن الخامس عشر. أكتب هذه الكلمات: في مايو ١٩٩٠م وبعد عامين ستحتفل أسبانيا، وهي تدعو العالم إلى أن يشاركها هذا الاحتفال، بمرور خمسة قرون على بدء الكشوف الجغرافية عام ١٤٩٢م. وهو نفس العام الذي خرج فيه المسلمون من معاقلهم الأخيرة، عام سقوط غرناطة، ودخول الاسبان قصر الحمراء، عام استعادة الفتح كما يسمونه في التاريخ الأسباني، وفيه انطلق الأسبان غربا عابرين المحيط الأطلسي، وانطلق البرتغال جنوبا محاولين الدوران حول أفريقية. والعالم الإسلامي في المقابل شرائح غير متعاونة، غروب في الأندلس، من ورائه الانسحاب إلى القارة الأفريقية. تقدم عنيد من الأتراك العثمانيين في شرق أوربا. وقبل هذا بنحو خمسين عاما ـ أي في ١٤٥٣م ـ استطاع السلطان الشاب محمد الفاتح أن يدخل القسطنطينية، وأن يكتب السطر الأخير من تاريخ الامبراطورية البيزنطية بعد أن عاشت نحو ألف عام. ولنذكر أن محاولات فتح القسطنطينية بدأت في عهد معاوية بن أبي سفيان، وأن هذه الجهود لم تؤت ثمارها إلا عندما تعانق العلم مع الإيمان وطور محمد الفاتح وسائله، واستخدم المدفعية البعيدة المدى بموازين عصره، ولم يقتصر على الوسائل التقليدية. ولنتذكر أيضا أن الاسبان في حصار غرناطة استخدموا أسلوبا قريبا من أسلوب محمد الفاتح، فانتصروا. وكان الحضور العلمي في كل من الموقفين هو الذي حسم الموقعة إلى جانب إيمان كل فريق بقضيته.

القرون الثمانية التي قضاها المسلمون في الأندلس كانت قرون ازدهار علمي وتقدم وسماحة، لقي فيها طلاب العلم ورجال الدين كل رعاية. وتجمع بين أيديهم تراث الأقدمين، وأضافوا إليه، ولم يكن من المعقول ـ بين عشية وضحاها ـ أن ينطلق الإسبان والبرتغال إلى غاياتهم دون الإفادة من علوم المسلمين. فما حقيقة هذا الدور؟ أو على الأقل: ماذا نستطيع أن نعرف عن حقيقة هذا الدور؟

لم يكن هناك تعاون بين مسلمي الأندلس وهم في أقصى غرب أوربا وبين الأتراك وهم يزحفون من الشرق. والمماليك يتوزعهم خوف من الأتراك، وحروب مع الصليبيين والمغول. ولنذكر ما أصاب الأتراك من تشتت الجهود بين مشكلات القوميات الأوروبية في القطاع الغربي من الدولة، والحروب مع الصفويين في الشرق، وثورات القوميات في قلب الدولة وجنوبها.

وعندما فتح العالم الجديد أبوابه، كان فتحه أمام المسيحية، وفي ركابها وجد اليهود أرضا جديدة.

لم يكن هذا عالم الإسلام الجديد. كان الذين وصلوا بعد هذا رقيقا منتزعا من قارة أفريقية، أرادوا له أن يذوب في العالم الجديد، وأن ينسى هويته ودينه وأسماء أهله. وتجارة الرقيق صحيفة دامية من تاريخ الإنسانية.

ولقد غير الكشف الجغرافي موازين القوى، وانحصر الإسلام في العالم القديم، وامتدت المسيحية في العالم الجديد. ولنا ـ ربطا بين الحقائق ـ أن نتتبعها من موطنهاالأصيل، منتشرة مع طرق التجارة البرية والبحرية، كما توضحها أعمال الرسل في العهد الجديد. وكنموذج أكثر تحديدا: إلى رحلات ورسائل بولس الرسول. ولها في كتب المسيحية الأولى خرائطها ومساراتها، وكان أكثرها في الحوض الشرقي للبحر المتوسط حتى إيطاليا. كذلك امتدت المسيحية شرقا إلى أجزاء من وسط آسيا. وكان لها تأثرها بالمواريث المحلية مما تعددت معه مذاهبها، كما امتدت من جنوب أوربا إلى وسطها وشمالها.

وفي أفريقية امتدت على محورين: الشواطىء الجنوبية للبحر المتوسط والمحور النيلي. ومن قديم كانت لمصر روابطها البحرية مع شرق أفريقية. ولم تكن هذه الروابط مقتصرة على النواحي التجارية، وإنما امتدت إلى الجوانب الدينية الخاصة، والحضارية بعامة. والصلة قديمة بين الكنيسة الأثيوبية والمصرية.

فالعاملان الأساسيان ـ من الناحية الجغرافية ـ في انتشار المسيحية، هما امتدادها الغربي من الأرض المقدسة نحو أوربا حيث استطاعت أن تحل محل وثنياتها القديمة، ثم كشف العالم الجديد على أيديهم، وبه أضيف إلى ثقلهم الأوربي عالم كامل بكل ما فيه من موارد وثروات.

وليس هذا مجال الحديث عن الأسلوب الذي اتبعه الأسبان ـ ومن جاء بعدهم من الأوربيين: البرتغاليون، الفرنسيون، الإنجليز ـ من حملات الإبادة ومحاولات محو الحضارات السابقة للكشف الجغرافي: الإنكا، الازتك، المايا، الأوريكوا، ونهب ونقل ما فيها من كنوز، وطمس مالها من معالم، وإبادة البشر، ثم محاولات تفريغ أجزاء من قارة أفريقية لتكون قوة عمل لا حقوق لها في الوطن الجديد. وتعاون الملوك والكنائس في هذا المجال. وما تلا هذا من محاولات شق فيها الأفريقيون طريقهم إلى شيء من الحرية بتضحيات وضحايا رهيبة، حتى استطاع السود أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه.. ولم تشفع وحدة الدين حقهم في المساواة. أن الكنائس في بعض الولايات المتحدة، وفي بعض مواطن البيض ما زالت متأثرة بالتفرقة العنصرية واللون. وأثر هذا على بعض كنائس الهنود الحمر والكنائس الافريقية فصوروا المسيح عليه السلام واحدا منهم، وحجتهم قوية: لو كان أبيض مثلكم لكانت له أخلاقكم..

عودة إلى الإسلام

نعود إلى الإسلام، وسأتناول فيه ـ جغرافيا ـ ثلاثة أمور

أولا: الهجرة من مكة إلى المدينة: وكانت هجرة اتخاذ قاعدة في نفس الوطن العربي لينطلق منها الإسلام. وهي بخلاف هجرة الإيواء إلى الحبشة التي دعا إليها الرسول ﷺ، أصحابه ولم يشارك فيها بنفسه، قائلا: «لو خرجتم إلى الحبشة، فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق. حتى يجعل الله لكم مخرجًا».. هي

هجرة مؤقتة، وليست قاعدة انطلاق. ولم تكن الحبشة إلى أفريقية بابا ولا منطقة انتشار حضاري. ولقد كان أهم الأبواب التي دخل منها الإسلام إلى أفريقية: المدخل الشمالي الغربي. (طريق سيناء) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

ثم تعددت المعابر بعد ذلك، فيأتي معبر (جدة ـ عيذاب) في الوسط، ثم معبر باب المندب إلى الحبشة، ثم المعبر البحري الكبير الذي يصل بين جنوب الجزيرة العربية وشرقي افريقيا.

ثانيا: أن مناطق المقاومة بعد انتشار الإسلام في الجزيرة العربية كانت إلى الشمال حيث دولتا الفرس والروم، وكل منهما دولة عريقة الحضارة، ولكل منهما عمق في الدفاع ـ إلا أن العمق الفارسي كانت وراءه أرض حضارات مستقرة لها دياناتها العريقة (الهندوكية. البوذية. الكونفوشية. .) فمع الاتصال البري وإمكانية التراجع ـ فإن الحائط أو الحوائط أو الكتل الحضارية (إذا جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير) لم تكن تسمح للحضارة الفارسية أن تجد لها مواطن أقدام قوية ومتسعة، كما وجدت في هضبة إيران.

والوضع مختلف مع الروم والمسيحية. ولعل هذا من أسباب انزواء الزرادشتية، وقدرة المسيحية على الحركة. كانت الدولة البيزنطية ممتدة في القارات الثلاث، وغالبه في الحوض الشرقي للبحر المتوسط. الصراع بينها وبين الفرس كان مما يتتبعه المسلمون في مكة والمدينة، وكأنه صورة من الصراع بين مؤمنين وغير مؤمنين. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في مطلع سورة الروم ﴿**غلبت الروم. في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله، ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم**﴾ (الروم: ٢ ـ ٥).

وإذا كان الإسلام قد استطاع اختراق الزرادشتية، والوصول إلى وسط آسيا

وإلى جنوبها في شبه القارة وإلى جنوبها الشرقي القاري والجزري، وإلى الصين من مدخل بحري مضاف إلى المدخل البري الغربي، هذا إلى امتداده السلمي التجاري في عالم المحيط الهندي بقطاعيه الآسيوي والأفريقي، فإن الصورة مع الإمبراطورية البيزنطية كانت مختلفة. سيطر الإسلام - على مراحل - على الشام ومصر، وامتد إلى جزء من آسيا الصغرى. ولكن كان العمق الأوربي ممتدا، وللمسيحية فيه سبق الدخول، بعد أن استطاعت أن تحل محل العقائد القديمة هناك. وارتبطت الكتلة الأوربية بالمسيحية، وخالط الإسلام فيما انتشر فيه من أرض مذاهب مسيحية وفّر لها حرية العبادة، كما وفرها من قبل لأهل الكتاب من اليهود. وحتى عندما فتح المسلمون القسطنطينية وهاجر من هاجر من أبنائها وعلمائها إلى الغرب. وكان من وراء ذلك حركة فكرية أطلقوا عليها اسم «عصر النهضة» بكل ما فيها من إفادة من علوم الأقدمين وإضافات المسلمين.

ثالثًا: وهو أمر سبقت الإشارة إليه، أعني الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر. وكانت ثورة عالمية بكل المقاييس، أعطت العالم لأول مرة إحساسه بوحدته الأرضية الكبرى، وفتحت مجالا واسعا أمام المسيحية، ووفرت مصادر للمواد الأولية وموارد ثروة أعانت على تيار الحضارة الأوربية التي ظلت تمد نفوذها وسيطرتها حتى القرن العشرين. وكان نصيب العالم الإسلامي فيها محدودا. كان في موقف الدفاع عن النفس بعد أن استحكمت القوة الأوربية وأخذت في غزو العالم الإسلامي واستعمار ما تستطيع من أجزائه. ومرة أخرى ارتبط الانتشار الأوربي بحرب الإسلام وبالتبشير، باعتبار أن العالم الإسلامي والعقيدة الإسلامية كانت أقوى ما وقف أمام المد الأوربي وأقوى ما هدده من قبل، وأن الاستعمار - وبخاصة في القرن التاسع عشر - ينتشر في أرضه وأرض الحضارات القديمة الأخرى. وكأن الصورة: ضغط العالم الإسلامي . . انتشار في العالم الجديد.

(٩) التوزيع في النصف الثاني من القرن العشرين

وتميز النصف الثاني من القرن العشرين، بعد الحرب العالمية الثانية، بميزات أهمها:

أولا: ظهور دول جديدة استطاعت الحصول على استقلالها من الدول الاستعمارية الأوربية.

ثانيا: تعدد المراكز الحضارية، بعد أن كانت مركزة إلى حد بعيد في أوربا، وتمتد الآن على جبهة من اليابان شرقا إلى الاتحاد السوفيتي وغرب أوربا والعالم الجديد (الولايات المتحدة وكندا) غربا. هذا إلى جانب المراكز الصناعية الناشئة والوافرة الإنتاج مع انخفاض تكاليف العمالة (كوريا، تايوان، هونج كونج، سنغافورة في آسيا). فنحن الآن نعيش عصر التعددية الحضارية من بعد أن انطوى عصر السيادة الأوربية.

ثالثا: تحولات المراكز الحضارية وشعورها بذاتيتها وبخاصة في شرق أوربا، هذا إلى عمق الشعور بالانتماء القومي في دول الجنوب.

رابعا: نشاط حركة الهجرة العالمية الراغبة في الاستقرار حيث فرص الحياة الأفضل.

ولكن ما علاقة هذا بالدين وبحوثه وتوزيعاته؟

لقد ارتبط الشعور القومي ـ وبخاصة في الدول الجديدة ـ بالبحث في مقوماته ومحاولات دعمها، ومن بينها الدين. ولم تقف بحوث الدين عند حدود المعتقد الحالي، وإنما امتدت إلى الجذور الغائرة في الفكر الديني القديم والمنزوي، ومحاولات فهمها من جديد. وذلك ببحوث ميدانية كان لها أثرها على إعادة النظر في تتابع المعتقدات، والنظرة الشاملة إليها.

وصحب هذا اتجاه مقابل، كان وثيق الارتباط بالفكر الذي اتخذ من الإنسان والعقل الإنساني نبراسا لحياته، وجعل الدين أمرا فرديا، أو طرحه في الحياة جانبا، واعتبر الإنسان سيد نفسه، عليه أن يحمل مسئولياته، ويسير في دروب حياته بعقله وكشوفه العلمية.

وبين هذين - على درجات من القرب من أحد الطرفين أو التوسط بينهما - مَن حاول الجمع بين مكانة كلّ من الدين والعلم في الحياة القومية والإنسانية. إن اختلاف الآراء والمواقف أمر من طبيعة البشر. ولكن المهم ألا يشغلنا الحوار في هذه المواقف - عمليا - عن قبول التحدي الحضاري المعاصر، ولا سبيل إلى تجاهله، والانصراف عن تبعاته، وإلا حكمنا على أنفسنا بالضياع في عالم العلم والقوة والإبداع.

(١٠) الوجود الإسرائيلي بين الجغرافيا والدين:

ولعل من أبرز العلاقات بين الجغرافيا والدين، في النصف الثاني من القرن العشرين، وفي ديارنا العربية والإسلامية، قيام الكيان الإسرائيلي في عام ١٩٤٨م. ونستطيع أن نتتبع جذوره إلى أواخر القرن التاسع عشر في مؤتمر بال بسويسرا عام ١٨٩٧م، وإلى كتاب تيودور هرتزل قبل ذلك بعام عن الدولة اليهودي. ونستطيع أن نتتبع أعماق هذه الجذور في العلاقات المضطربة بين اليهودية والمسيحية، وبين اليهودية والقوميات الأوربية، بدءا من روسيا شرقا إلى بريطانيا غربا، ومواقف كل من الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية من هذا الصراع، وتحول بعضها من النقيض إلى النقيض (مواقف لوثر كمثال) وحياة اليهود في معازل خاصة (جيتو) في المدن الأوربية يمارسون فيها حياتهم وشعائرهم، مما اضطرهم - وبخاصة بعد خروج المسلمين من

الأندلس ـ إلى الهجرة إلى العالم الإسلامي : المغرب. المشرق. تركيا. حيث وجدوا اطمئنانا واستقرارا، وقاموا بإنتاج علمي في دينهم وفي آفاق أخرى.

ونستطيع أن نتتبع أمرهم بعد المؤتمر الأول، وقد تلاقوا فيه على أن تكون لهم «أرض» جزء من اليهودية أصبح صهيونية. الصهيونية نظرت إلى فلسطين. وإليها اتجهت الهجرة الأساسية. وإن حدثت هجرات إلى الأرجنتين، هي الآن(١٩٩٠م)في طريق التحول إلى فلسطين. وكان هذا أخطر ارتباط بين الجغرافيا والدين في ديارنا.

وقامت دولة استيطانية على أساس من الدين في قلب العالم العربي والإسلامي واتجهت إلى انتزاع الأرض من أهلها بقوة السلاح.. وبالمال والتشريع الجائر إن استطاعت، وبمحاولة طمس التاريخ تحت ستار وعود أرجعوها إلى التوراة (انظر سفر التكوين ١٧ : ٨) وأخذوا في تغيير أوجه المدن، وبخاصة القدس عن طريق الهدم والتخريب والحرق. وأقرب الأمثلة إلى ذلك المحاولات الدائبة لحرق المسجد الأقصى. وحفر الأنفاق تحته بحجة البحث عن الآثار. ولقد كان حريق أغسطس ١٩٦٩م سببا مباشرا لاجتماع القمة الإسلامية الأولى في الرباط في سبتمبر من نفس العام، وتكوين منظمة المؤتمر الإسلامي في فبراير ١٩٧٠م بعد ستة وأربعين عاما من إلغاء الخلافة الإسلامية على يد الأتراك الكماليين. وتعتبر المنظمة أول صورة شاملة للتعاون الإسلامي المعاصر، الذي يحاول الربط بين دول الإسلام، وينظم خطا المسلمين سياسيا واقتصاديا وثقافيا وعلميا.. ولكل من هذه المناشط في المنظمة جهاز أو أكثر.

وبهذا أصبحت قضية فلسطين بؤرة الانتباه والعناية، يحيط بها إطار أول من الوطن العربي، وإطار أوسع من العالم الإسلامي، تمده قوى مؤمنة بحقوق الإنسان على الصعيد العالمي، وإن لم تكن عميقة الأثر والتأثير.

ويقابل هذا بؤرة إسرائيلية في نفس الأرض، تمد خطوط اتصالها إلى مراكز صناعة القرارات العالمية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، والعواصم الأوربية.

وفي الموقف الحالي(١٩٩٠م) نرى المدد البشري يأتي من الاتحاد السوفيتي، والدعم المالي للاستيطان يأتي أساسا من الولايات المتحدة الأمريكية، مع وضع الحواجز أمام الهجرة اليهودية إليها لتصب في فلسطين، وتدعم القوة البشرية فيها.

صورة تكاد تتكرر لما حدث من تعاون بين أوربا والمغول على تحويل الموجة إلى العالم الإسلامي بدلا من التوغل في أوربا في القرن الثالث عشر (حسين مؤنس. عالم الإسلام ص ٩٢ ـ ٩٤) هل المقصود أرض الإسلام؟ أم عقيدة الإسلام؟ الجغرافيا أم الدين أم الوجود العربي؟ أم الثلاثة معا؟.

وأود قبل أن أدع هذا الموضوع أن أشير إلى أمرين لهما به ارتباط وثيق:

الأول: ما أثبتته الوثائق من تعاون بين النازية والصهيونية العالمية. أقول «تعاون» رغم ما كان ولا يزال طافيا على السطح من صراع بينهما.

وهنا أشير إلى الوثائق الواردة في كتاب فارس جلوب وعنوانه «نجمة داوود والصليب المعقوف: الصهيونية على خطى النازية»وقد صدر في إبريل١٩٨٩م ـ عن دار الشرق. نيقوسيا. قبرص.

وصفوة القول فيه لقاء بين مندوبي الطرفين يستهدف:

١ ـ أن يقوم النازي (أو الجستابو: لا فرق) بتسليم عدد معين من الأسماء من اليهود إلى السلطات الصهيونية، وهم من الكفاءات التي تحتاج إليها الدولة الجديدة، مقابل قدر معين من المال.

٢ ـ لا مانع عند الصهيونية من اشتداد النازية على المعتقلين اليهود وإساءة معاملتهم وإشاعة ذلك.

٣ ـ سيؤدي هذا إلى سرعة فرار الباقين ليكونوا المادة البشرية المطلوبة في إقامة المستوطنات تمهيدا لقيام إسرائيل. وبهذا تفرغ ألمانيا للألمان، ويتحول اليهود إلى إسرائيل، ويتحقق التوافق العنصري في كل من الدولتين.

وفي هذا الضوء تستطيع أن تدرك المبالغات التي حدثت بشأن المعتقلات اليهودية، ثم محاربة أي محاولة لإظهار حقيقة الأعداد والاتفاقات السرية بين الطرفين، وجهود الصهيونية ثم إسرائيل في تصفية الألمان الذين شاركوا في هذه العمليات.

الثاني: التعاون الوثيق بين الدوائر اليهودية وما يسمى الآن في الولايات المتحدة بالإنجيليين المناضلين. وهنا أعود إلى كتاب: جريس هالسل ـ النبوءة والسياسة: المناضلون الإنجيليون على طريق الحرب النووية.

Grace Halsell: Prophecy and Politics: Militant Enangeliots on the Road of nuclear war: Lawrence Hill & Company, West Part Connecticat 1986.

وقد قامت الكاتبة بنفسها ببحوث ميدانية في هذا السبيل، بينت كيف استطاعت الهيئات اليهودية في الولايات المتحدة والموالية لها، أن تستغل بعض نبوءات العهدين القديم والجديد، وأن تترجمها إلى مشروعات عسكرية، لتقوية إسرائيل (انظر ص ٢٠ من الكتاب وبه خريطة المعركة). ولها في هذا تقاريرها وخرائطها، التي تعتبر معركة تقوم في «أرماجدون» وتنتصر فيها إسرائيل تحقيقا لهذه النبوءات (سفر حزقيال ٣٨ ـ ٣٩). وما يرتبط بهذا من دعم سياسي واقتصادي وضغط على صناعة القرار الأمريكي وتعاون روسي. وقد أنهت المؤلفة كتابها ببيان خطورة ذلك حتى على ممارسة حرية الرأي في الولايات المتحدة وعلى جوانب

الرحمة التي يدعو إليها الإنجيل وبخاصة «الموعظة على الجبل». ومن كتابها وفي ختامه تقرأ معها:

«في عام ١٩٨٥ شهدنا نحن الأمريكيين الاحتفال بمرور أربعين عاما على إلقائنا أول قنبلة ذرية. ومنذ أربعة عقود وحتى الآن ما زال الأمريكيون والعالم كله يعيش تحت الظل النووي. ومنذ هيروشيما بنينا قوة من الأسلحة الذرية لها طاقة أكبر من تدمير الحياة الإنسانية جميعا.

وهناك من يدعونا إلى مزيد من بناء القوة، وأنفقنا مليارات الدولارات في الفضاء الخارجي لحفظ السلام. ولو فرضنا أن هذه القوة النووية لحفظ السلام فهل يقتضي هذا أن السلام يكون أقرب منالا إذا تحولت شعوب العالم إلى قوى نووية كبرى».

وتعقب على هذا مشيرة إلى الإنجيليين المناضلين وفي مقدمتهم جري فالول Gerry Falwell:

«إنني أفتقد في عظات جري فالول وغيره من الإنجيليين، في التلفزيون، أفتقد أي إشارة إلى الموعظة على الجبل (وهي صورة الرحمة المسيحية كما نعلم) وأفتقد أي إشارة إلى أن المسيح لم يلجأ إلى القوة الحربية. لم يكن أسلوبه إلغاء الملكية ومصادرة البشر من أجل السلام. وبالسلام نستطيع الحصول على الحياة، وأن نشعر بالحياة». ولمزيد من التفصيل ينظر الفصل بعنوان «ريجان: التسليح من أجل ارماجدون» (ص ٤٠ - ٥٠) وفيه مناقشة لإيمان ريجان (الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية) بهذه التنبؤات وعمله من أجلها.

وأود أن أكتفي بهذا النموذج المعاصر لبيان العلاقة الوثيقة بين الجغرافيا والدين، علاقة قد تصل عند البعض إلى الإيمان بإشعال حرب نووية باسم نبوءات

العهد القديم، وقد تصل تأثيراتها إلى أعلى مستوى في صناعة قرارات في دول عظمى تهدد مصير البشرية.

انتقل بعد هذا إلى الجوانب الأربعة، المرتبطة بالقداسة في الدين لنرى علاقاتها الجغرافية..

(١١ - ١٢) الزمان والمكان

ولعل من الأفضل أن نأخذ الزمان والمكان معا، ثم نتناول من بعدهما الإنسان والكون.

ما معنى قداسة الزمان، وقداسة المكان؟

أن ترى ليوم معين أو مكان معين منزلةً لا تجدها في غيرها.

ولنبدأ بالزمان. ولكل دين أعياده ومواسمه. ما جاء في شعائر الدين: عيد الفطر وارتباطه بانقضاء شهر الصوم. وعيد الأضحى وارتباطه بشعائر الحج ووقفة عرفات. وفي العالم المسيحي ترى الاحتفال برأس السنة الميلادية، والاحتفال بيوم مولد المسيح عليه السلام.

وفي أكثر الشعوب لا يقف الأمر عند هذه الأعياد الأساسية ـ أو الكبرى إذا جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير ـ فهي تتخذ لنفسها أعيادا مرتبطة بمناسبات دينية. والفكرة في يوم العيد أن المجتمع يود أن يعطيه صفة البقاء، وأن يرفعه فوق الضياع في دروب التاريخ، أي أنه نوع من البقاء أو الخلود ليوم أو أيام.

مثل ذلك عن المكان أيضا. فلكل أمة منا سكنها وشعائرها المرتبطة بأمكنة خاصة. وأقرب نموذج لذلك شعائر الحج في الإسلام فهي محددة الأماكن: من

إحـرام، وطواف، وصـلاة في مقام إبـراهيم، وسعي بـين الصفـا والمـروة، ونَفْـر إلى عرفات، وإفاضة منه إلى المشعر الحرام ومِنى، ثم عودة لأداء طواف الإفاضة في مكة.

ولكل دين أماكن مقدسة. والمشكلة تأتي من التنازع عـلى الأماكن إذا تتـابعت عليها الأديان، ولم يجد أهلها من السماحة أن يتعايشوا دون عدوان.

والأمر ـ جغرافيا ـ لا يقف عند مجرد التوزيع الجغرافي للأماكن المقدسة، وإنمـا تـرتبط بها منـاشط إنسـانيـة أخـرى في النقـل الـبري والبحـري والجـوي، والـرواج الاقتصادي، والعلاقات الدولية: هادئة أو ساخنـة، والقيود الصحيـة، والإجراءات الأمنية.

وعلى صعيد القـطر الواحـد ترى لكـل قطر أعيـاده الوطنيـة الخاصـة المرتبـطة بدورها بالزمان والمكان، وكذلك بالإنسان كما سنرى فيما بعد، ولهـا أيضا دورات من النشاط الاقتصادي.

(١٣) الإنســان:

ونقصد بالقداسة في الإنسان صنفا أو عـددا من البشر لهم ميزات لا يتمتـع بها غيرهم، وهذا أمر أيضا شائع في كل دين.

يبدأ من مستوى الأنبياء. ويأتي به مِنْ بعدهم نَفَرٌ من صالحي كل دين.

وأود أن أؤكد هنا أننا لسنا في مقام المقارنة، ولكن في مقام العرض الموضـوعي وآثاره الجغرافية. فمن الأديان من يؤمن أتباعه أن نبيهم بشر يـوحى إليه كـما نجد في الإسلام. ومنه من يرفعه فوق ذلك إلى درجة الألوهية، ويعتبر لها ناسوتا وتجسدا، كما في المسيحية. ومنهم من يراه مجرد إنسان مستنير جاءه فيض من المعرفة كما في البوذية، وديانة السيخ. ومنهم من يراه معلما أخلاقيا كما في الكونفوشية.

ولكن الاحتفال «بميلاد» الأنبياء ومؤسسي المذاهب يتخذ بدوره نشاطا اجتماعيا واقتصاديا. . فإذا أضفنا إلى هـذا الصالحين من كل دين، وتـوزيع مـوالدهم كـما في مصر، أو حماة المدن ورعاتها، كما نجد ـ كمثال ـ في العالم المسيحي، استطعنا أن نجد نوعا من الاقتصاد الديني أو الرواج المرتبط بالعقائد، وأن نرى نوعا من التـوزيع عـلى مدار العام، تتراضى به الأمة، دون تداخـل كبير بـين الأعياد. هـذه الأعياد والمـوالد حكت مجد أسواق العرب في الجاهلية، وكانت أيضا لها دورتها حول الجزيرة العربية.

صحيح أن حياة المـدن العملاقـة قد أثـرت في هذه الأنشـطة، ولكنها لا تـزال قائمة، ولها معتنقوها، وانعكاساتها على الحياة الاقتصادية بخاصة.

(١٤) الكــون:

ونقصد هنا ما اصطلحنا على تسميتـه بالغـطاء الصخري والمـائي والجوي ومـا أضيف إليهـا وأطلق عليه الغـطاء البشري، وهو فـروع شتى: اقتصـاديـة وسيـاسيـة ولغوية ودينية. . بعبارة أخرى كل ظاهرة قابلة للتوزيع والوصف والتفسير. وسنأخـذ نماذج من هذه لنرى جانب القداسة فيها ومدى ارتباطه بالدين. وأود أن نحدد مفهوم القداسة في التميز، وقد نقصد بها الطهر والخلو من الشوائب، وقد نقصـد بها ظـاهرة طبيعية أو كونية خاصة.

كمثال الماء: وله في الإسلام أحكامه في الـطهر. والله يقـول فيه **﴿وجعلنـا من الماء كل شيء حي﴾** (الأنبيـاء: ٣٠) والماء الـطهور وضـوء وغسل، حتى الميت يـودّع دنيانا بعد أن يغسل بالماء الطهور، ويصلىّ عليه. ماء زمزم لـه مكانـة خاصـة. ويحيى عليـه السلام كـان «يعمّد» في نهر الأردن. . الهنـود يقدسـون نهر الكنج ولـه عندهم شعائر.

ولبعض الصخـور مكانـة خـاصـة في بعض الأديـان. الحجـر الأسـود في ركن

الكعبة. الصخرة المشرفة في القدس. الحائط الغربي في الحرم القدسي وهو الذي يطلق عليه اليهود حائط المبكى.

بعض النباتات لها مكانة «خاصة»: الشجرة التي تلقى بوذا عندها الاستنارة. وإن كانت بعض الأديان كالإسلام ترفض هذا النوع من القداسة، ومن أجله قطعوا الشجرة التي بايع الرسول عندها بيعة الرضوان، والتي جاء فيها قول الله تعالى في سورة الفتح ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾ (الفتح: ١٨).

والأمثلة كثيرة في الأديان

(١٥) الإيمان بالله:

ولكن الذي نود أن نقف عنده قبل ختام هذه الأمثلة هو النظرة إلى الكون ككل ما وراء العالم المشهود من غيب..

فلقد كان من تأثير نظرية التطور على الفكر العلمي أن ظهرت محاولات لوضع نظام لتطور الفكر الديني بدءا من عبادة مظاهر الطبيعة وسيرا إلى تعدد الآلهة في درجاته المتعددة إلى المثنوية ثم إلى التوحيد.

ولكن البحوث الميدانية عند بعض القبائل البدائية، التي عاشت في عزلة عن تيارات الحضارات القوية، بينت أن الصورة تختلف اختلافا جوهريا عن هذا العرض النظري التطوري، وأنها تلتقي مع فكرة الإيمان بإله كبير متعال، وإن اختلفت تصوراته ووظيفته في الكون.

عندما قرأت ذلك فيما ذكره ميرشيا إلياد، ذكرت ما قاله المسعودي في مروج الذهب وهو يصف أديان الزنج وأسلوبهم في التقاضي، وأنهم يؤمنون بإله متعال..

كذلك عند كثير من القبائل الأفريقية أثبتت الدراسات الميدانية وجود فكرة الإله الكبير وراء التعددية الظاهرة، كما ظهر ذلك عن دراسات في قبائل الهنود الحمر في أمريكا.

وأصبح الاعتماد الآن على الدراسات الميدانية المباشرة، وهناك ارتباط وثيق بين العناية بالتواريخ القومية ـ وبخاصة في العالم الجنوبي ـ والبحث الموضوعي في جذور هذه الشعوب.

جوانب أخرى نراها في دراسة الكون. وهي الصلة بين السماء والأرض فيه، وعلاقتها بتواريخ وأحداث الأديان ومناسباتها. عقيدة الوحي ذاتها. الإسراء تقرؤه في أكثر من دين. تقرؤه في الإسلام كما تقرؤه فيما تذهب إليه الزرادشتية من صعود زاره إلى السماء سبع مرات وتلقيه الوحي. نراه في الإيمان برفع المسيح عليه السلام.

خاتمــة

أود أن أقف عند هذا الحد من الحديث. . وفيه تفصيل كثير لا يتسع لـه هذا المقام. وهذا إذا دخلنـا في الدراسـات التفصيلية لـدين بعينه، أو تتبعنـا العلاقـة بين الأديان الكبرى في مدها وجزرها، وعلاقة ذلك بالعوامل الجغرافية. .

ولقد حاولت هذا في محاضرات عن «جغرافية الإسـلام في عصر النبوة» درست فيها المواقع الجغرافية لقصص القرآن ونمـطها الجغـرافي، وقيام الإسـلام من الجزيـرة العربية. . لماذا؟ ثم تحليلا جغـرافيا لـطريق الهجرة، ثم جغـرافيه الغـزوات وحروب الردة، وهي من الدراسات التي تتجلى فيهـا العلاقـة الوثيقـة بين العـوامل الجغـرافية وإعادة تثبيت الإسلام. . ثم المقارنة بـين طرق انتشـار الإسلام الشـمالية والجنـوبية: هلال البحر المتوسط وهلال المحيط الهندي.

ألا يستحق هذا من كلية الآداب بجامعة الكويت أن توليـه عنايـة أكبر وذلـك بالنظر في إمكـانية تـدريس «جغرافيـة الأديان»؟ أعلم أن هـذه الموضـوعات مـازالت تقابل بشيء من الحساسية في عالمنا الإسلامي. ولكني أؤمن أن المعرفة الموضـوعية هي المدخل الأمثل للفهم ثم التفاهم ثم التعاون.

أمر آخر: ماذا عن علم تاريخ الأديان، أو إن شئنا علم مقارنة الأديان؟ وأوكد فـي ختام حديثي أن الأمـر ليس مفاضلة ولكن معـرفة. ولنـامؤلفاتنـا في هذا المجـال التاريخي، ولكن الذي نفتقده هو المنهج الموضوعي الذي يعتمد على الظاهرة وتتبعهـا في الأديان المختلفة: الزمان. المكان. الإنسان. الكون.

إن العالم من حولنا يعتدّ الآن بالتاريـخ العام الـذي ينظر إلى العـالم في وحدتـه الزمانية والمكانية، ومازالت أكثر عنايتنا موضعيـة مكانًـا، محدودة زمـانًا، وليس هـذا

أسلوب تكون الفكر الواسع السمح الذي يقبل التعددية الفكرية، وهي أهم ما يتميز به عصرنا.

ولا أود أن اقتصر على الفكر الديني من حيث علاقته بالجغرافيا، وإنما انتهز هذه الفرصة للدعوة إلى العناية بتاريخ العلوم. هناك جهود مبذولة في نشر التراث. وهي جهود مشكورة ومقدرة، ولكن علينا أن ننسقها بين المجامع ليكون العطاء أوفر.

هذه الدراسات ليست مجرد متعة ذهنية. ولكنها دعائم لتكوين عقلية أكثر نضجا واستيعابا للتراث من ناحية، ولروح العصر من ناحية أخرى، مما يجعلها أقدر على المساهمة في بناء المستقبل.

إن الاتجاه الغالب الآن هي الربط بين العلم والعمل. وكما هو أساس في الدين، هو أساس في الحياة. فلتكن جهودنا خطوات على هذا الطريق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مصادر البحث

١ ــ عبدالعزيز كامل: جغرافية الإسلام في أفريقيا.

٢ ــ عبدالعزيز كامل: وجه العالم الإسلامي.

٣ ــ عبدالعزيز كامل: الإسلام والعصر.

٤ ــ حسين مؤنس : عالم الإسلام

٥ ــ عبدالعزيز كامل: الإسلام والمستقبل

6 - Mercea Eliade, (1986): Encyclopeida of Religion.

7- Mercea Eliade, (1987): A History of Religious Ideas.

8- Grace Halsell (1986). Prophecy and Politics: Militant Enangeliots on the road of nuclear War.

سلسلة اعداد النورية لعامي ١٩٨٩ ـ ١٩٩٠

١٢١ـ أهمية الطرق الكمية في تحديد الاختلافات المكانية لمؤشرات التنمية في المملكة العربية السعودية	أ.د. ناصر بن عبدالله صالح
١٢٢ـ السهول الساحلية فيما بين رأس دبا وخور كلبا على الساحل الشرقي لدولة الامارات العربية المتحدة	أ.د. حسن أبو العينين
١٢٣ـ الوزن الجيوبوليتيكي لأقطار التعاون الخليجي ومستقبله	د. محمد أزهر السماك
١٢٤ـ موانى دولة الامارات العربية المتحدة دراسة في جغرافية النقل البحري	د. سعيد أحمد عبده
١٢٥ـ الخليج العربي تطوره الباليوجرافي وتذبذب مستوى سطح مياهه	أ.د. حسن أبو العينين
١٢٦ـ سطح قطر بين الحاضر والماضي	د. محمود عاشور
١٢٧ـ حركة الكثبان الهلالية في الكويت	أ. جاسم محمد العوضي
١٢٨ـ تحديد المساحة المزروعة بالنخيل والمياه اللازمة لها في واحة الاحساء في المملكة العربية السعودية	د. عبدالله أحمد الطاهر
١٢٩ـ التوزيع المكاني الحالي لمواقع مراكز صندوق التنمية العقارية بمنطقة الرياض	د. غازي بن عبدالواحد مكي
١٣٠ـ الجغرافي الأندلسي أبو العباس أحمد بن عمر العذري	أ.د. عبدالله يوسف الغنيم
١٣١ـ الوزن الجيوبولتيكي لدول البحر الأحمر العربية	د. محمد أزهر السماك
١٣٢ـ معدل المواليد في زمن النبي ﷺ	تأليف شارل بيلا ترجمة فاطمة عصام صبري
١٣٣ ــ جيمورفولوجية الشروم على الساحل الشرقي للبحر الأحمر (المملكة العربية السعودية)	د. محمد سعيد البارودي
١٣٤ـ تطبيق نظم المعلومات الجغرافية (دراسة تحليلية)	د. خالد بن محمد العنقري
١٣٥ـ الظروف المناخية بالاحساء. (دراسة جغرافية)	
١٣٦ـ الآثار السلبية للهجرة الدولية في مجتمع المواطنين (دراسة حالة لدول مجلس التعاون الخليجي)	د. أمل يوسف العذبي الصباح
١٣٧ ــ جغرافية النشاط الاقتصادي في البحرين	د. محمود توفيق
١٣٨ ــ موجات الحر في الأردن خلال الصيف	أ.د. نعمان شحادة
١٣٩ ــ التنظير في الفكر الجغرافي الحديث	أ. د. محمد علي عمر الفرا

سلسلة منشورات وحدة البحث والترجمة

١ـ بيئة الصحاري الدافئة	ترجمة: أ.د. علي علي البنا
٢ـ الجغرافيا العربية	تعريب وتحقيق: د. عبدالله يوسف الغنيم د. طه محمد جاد
٣ـ مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي	د. عبدالعال الشامي
٤ـ العالم الثالث: مشكلات وقضايا	ترجمة: أ.د. حسن طه نجم
٥ـ التنمية الزراعية في الكويت	أ.د. محمد رشيد الفيل
٦ـ القات في اليمن: دراسة جغرافية	د. عباس فاضل السعدي
٧ـ هيدرولوجية الأقاليم الجافة وشبه الجافة	تعريب: د. سعيد أبو سعدة
٨ـ منتخبات من المصطلحات العربية لأشكال سطح الأرض	أ.د. عبدالله يوسف الغنيم
٩ـ البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي	تحقيق القاضي اسماعيل بن علي الأكوع
١٠ـ المدن الجديدة بين النظرية والتطبيق	د. أحمد حسن ابراهيم
١١ـ الأبعاد الصحية للتحضر	ترجمة: أ.د. محمد عبدالرحمن الشرنوبي
١٢ـ التطبيقات الجغرافية للاستشعار من بعد: دليل مراجع	د. صبحي المطوع
١٣ـ قواعد علم البحر	حسن صالح شهاب
١٤ـ الانسياق الرملي وخصائصه الحجمية بصحراء الدهناء على خط الرياض ـ الدمام	مشاعل بنت محمد بن سعود آل سعود
١٥ـ التخطيط الحضري لمدينة الأحمدي وإقليمها الصناعي	د. وليد المنيس د. عبدالله الكندري
١٦ـ كيف ننقذ العالم	ترجمة: أ.د. علي علي البنا أ.د. زين الدين عبدالمقصود
١٧ـ أودية حافة جال الزور بالكويت تحليل جيومورفولوجي	د. عبدالحميد كليو
١٨ـ الألواح الجيولوجية ونظمها التكتونية	ترجمة: أ.د. حسن أبو العينين
١٩ـ جيومورفولوجية منطقة الخيران جنوب الكويت	د. السيد السيد الحسيني
٢٠ـ الشوائب في تحقيق كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد	تأليف: شهاب الدين أحمد بن ماجد
٢١ـ التحضر في دول الخليج العربية	د. خالد محمد النعقري
٢٢ـ جغرافية العالم الثالث	تعريب: د. حسن طه نجم د. مكي محمد عزيز
٢٣ـ الصور الجوية ـ دراسة تطبيقية	د. خالد العنقري
٢٤ ـ جيومورفولوجية منخفض أم الرمم بالكويت	**د. عبدالحميد كليو**

سلسلة اصدارات وحدة البحث والترجمة

١ـ تقلبات المناخ العالمي	عرض وتعليق: أ.د. محمد صفي الدين أبو العز
٢ـ محافظة الجهراء	أ.د. زين الدين غنيمي
٣ـ تعدادات السكان في الكويت	د. أمل العذبي الصباح
٤ـ أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة	أ.د. عبدالله يوسف الغنيم
٥ـ أشكال سطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية	أ.د. عبدالله يوسف الغنيم
٦ـ حول تجربة العمل الميداني لطلاب الجغرافيا بجامعة الكويت	أ.د. صلاح الدين بحيري
٧ـ الاستشعار من بعد وتطبيقاته الجغرافية في مجال الاستخدام الأرضي	أ.د. علي علي البنا
٨ـ البدو والثروة والتغير: دراسة في التنمية الريفية للامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان	ترجمة: د. عبد الاله أبو عياش
٩ـ الدليل البحري عند العرب	حسن صالح شهاب
١٠ـ بعض مظاهر الجغرافيا التعليمية لمقاطعة مكة المكرمة	د. ناصر عبدالله الصالح
١١ـ طرق الملاحة التقليدية في الخليج العربي	حسن صالح شهاب
١٢ـ نباك الساحل الشمالي في دولة الكويت دراسة جيومورفولوجية	د. عبدالحميد أحمد كليو د. محمد اسماعيل الشيخ
١٣ ـ جغرافية العمران عند ابن خلدون	د. عبدالعال الشامي
١٤ ـ السمات العامة لمراكز الاستيطان الريفية في منطقة الباحة	د. محمد محمود السرياني
١٥ ـ جزر فرسان دراسة جيومورفولوجية	د. محمد سعيد البارودي



شركة مطابع الوزان العالمية ذمم

Al Wazzan International Press Co. W.L.L.

رسائل جغرافية

دورية علمية محكمة تعنى بالبحوث الجغرافية

يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية